

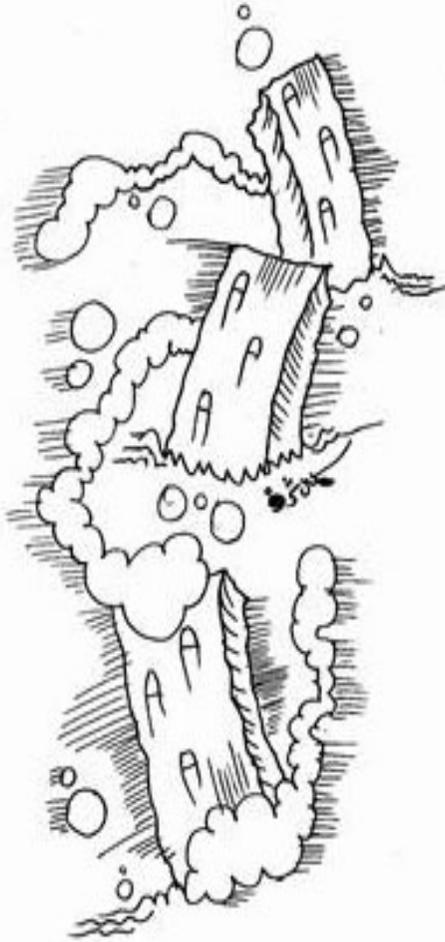
خزاف الرّماح^س

رعد السيفي*

أراني توهمتُ؛ فالدارُ ليست بداري
 ولا الأهلُ أهلي...
 ولم يكُ لي في زوايا المكانِ
 حضورٌ
 تراءى لهم في المرايا
 ولم أكُ ملءَ الحنايا،
 غداةَ التقتني تضاريسُها
 تكادُ تشفُّ التضاريسُ،
 توقظني
 صبوةُ الحلمِ - وجداءُ،
 فأبكي زمانَ العلوِّ
 على ضفةِ النَّهرِ
 يومَ ظمئنا!

* شاعر وأكاديمي من العراق.

وكنّا
نُسيجُ أضلاعنا بالينابيع،
نرفو الشبّاكَ
لعلَّ السّفائنَ تأتي
تشقُّ التّصحّرَ في أفقنا
فننثالُ قطراً
يهدُّ فمَّ العاصفة!
كي نُحسَّ بنشوتنا الزّائفة!!



سألتُ العبارةَ وهي تضيقُ،
-وكنّا معاً في لظى الحرفِ
سوسنةً ظامئةً-
جُملةً طارئةً!
كي أرتقَ عريّ القصائدِ
وهي ترجُ المعاني الدفينةَ
لأنّا معاً...
قابعانِ كظلِّ
تهاوى...
وغطّى فضاءَ المدينة!!

يعاودني الصحوُ
بيني وبينكَ دربٌ تحنّظَلُ من فرطِ
وحشته...!
سألتُ الصّباحَ...
حمائمهُ الصّاعداً لبرجِ المدينة:
كيف؟

وكيفَ تسَلَّلَ طوفانُ جمرِكَ
كي يستبدَّ بزنبقةِ الرّوحِ،
وهي تدورُ بمأمنها
-دافئاً كانَ مأمنها-
في الزّمانِ الجريحِ؟

ليت لي
 بعض حنجرتي
 كي أصيح!!
 كيف؟
 وكيف تسأل غيم الهباء لفردوسنا؟
 وكيف استبد بنا
 قلق أزرق اللون
 حتى أحال سماء القصيد
 حقل رماد
 وبوح البنفسج في لوحة العمر
 جمرأ
 وشهقة ذاك البياض
 غبار حصاد!!؟

سببقى يرودك الليل
 حيث السواحل خالية
 والبراري بلا لون تتأى
 وأنت...
 كظل نهار
 بلا ذاكرة
 فأبصرني واقفاً
 يقشرنى الصبح،
 يسحبني الضوء،
 أعدو...
 تماهلني نجمة الصبح، وهي تغيب،
 فأبقى أفتش في الظل
 عن لؤلؤ نرجسي التوهج.
 تماهلني نجمة الصبح ثانية...
 تقود خطاي
 إلى الغبش المشرتب ببرد الحداثق،
 والنسوة الحلمات بنهر البنفسج

قرب العريشة
حيث ظلال التّفجّع
تسكب قهوتها
وتتلو النّشيد!

إلى أين تمضي الحمائم؟
إلى أين يمضي بي الصّبح؟
إنّ العريشة خاوية
والظلال التي
أهدرت فتنة العمر - سرّاً -
تدورُ بنعش العروش الأثيرية
وهي تحدّق بالأفق،
حيث أناي تشظّت،
وأسرى بها الظاعنون
إلى حيث تنسى الغواية أسرارها!
وحيث فحّاخ الهواء المكّس في الأسئلة!
لألقى البلاد التي باعدتني
لتذهب ريجي
فأغدو
كظل يدق بمخليه
في خرائب روجي!
ليشعل زغب القصائد،
حبر الرّسائل، لون الخيول،
فينكسر الضّوء
مثل جناحين لا يفضيان لبعضهما
في الأفول!!

إلى أين أمضي؟
سيان أمر النّهارات،
ذلك أنّ الغناء
يؤمّ البكاء

فذاك أخي..

هياً السيف،

أحكَمَ طعنَتَهُ..

فأيقظَ قيصرَ في دمعتي!

باعني قبلَ أنْ يُسفرَ الصّبحُ

تَسَمَّعتُ خطوتَهُ،

أدخلَ الطّارئينَ إلى جسدي

أيقظوا شَجَرَ الصّمتِ

من حزنِهِ!

أزاحوا عن الرّوحِ قشرتَها

تَنَفَّسَ حرفُ الجيادِ

ففرَّتْ صخورُ الزّهورِ،

كجمرٍ تعرّى

وجردَّ من عزلةِ الغيمِ

ضوءاً

ليمضي السّؤالُ..

يفتّشُ عن كوّةٍ

يشدُّ على جسدِ

توجّههُ الرّماحُ

بوردِ الجراحِ!

متى يشربُ البوحُ لونَ التّوهجِ؟

متى يأخذُ الصّمتُ ظلَّ الكلامِ؟

قليلاً...

سيخضُرُ غيمُ الغيابِ،

ويَنبُتُ من سهوةِ الضّوءِ

خيلاً

يَشعُ..

يُعيدُ الزّمانَ إلى هدأةِ ضيِّفةٍ!

ليَنزِعَ من حرفهِ ثمرأً يابساً

يأكلُ الحزنُ منه

وَيُسْقِي أَفْرَاسَ ذَاكَرْتِي
ندماً طازجاً!

كي أرى..

كَيْفَ يَنْسُجُ خَزَافُ حَقْلِ الرَّمَادِ أَكَالِيْلَهُ
لِيُسَكِّنَ بَيْنَ الْعِبَارَاتِ شَيْطَانَ أَسْرَارِهِ،
يُرَاقِبُ أَجْنَحَةَ الطَّيْرِ

تعري...

فَتَسْقُطُ زِينَتُهَا فِي لظى الصَّمْتِ،
حَيْثُ السَّوَاهِلُ خَالِيَةٌ
مَنْ سَنَا الطَّيْرَ،

بيننا..

عَلَى رَأْسِ خَزَافِ حَقْلِ الرَّمَادِ
دُمُ الطَّيْرِ يعلو
لِيَنْسُجَ إِكْلِيلَهُ
مَنْ خِيوطِ السَّوَادِ!!

إب ٢٣/٥/٢٠٠٩